الظاهرة الجمالية في الفقه الحضاري الاسلامي نكتل يوسف محسن

الجمال في اللغة ضد القبح ، و الجمال من الصفات: ما يتعلق بالرضا واللطف ، ومن مرادفات الجمال او فروعه الحُسن ، وتعد قضية الجمال شجرة راسخة الاصل متفرعة الاغصان تمتد الى الاشياء المحسوسة ولا تقتصر عن الاشياء الملموسه ، فهي زينة كل عمل ؛ وتتمة كل شيء وصل واكتمل .

لقد كانت النظرة الى الجمال المحسوس هي الغالبة قبل الاسلام ، فجمال الشكل مقدما عن جمال المضمون ، في حالة مادية تجد اختها وتومئها في الوقت الحاضر ، حيث اختزل الجمال بالشكل والمظهر وترك الاصل والجوهر ، ولانزال نرى في العالم اليوم صور الفتيات الحِسان على البضائع المروجة تعبيراً عن هذه النظرة المقيتة وفحواها ، ومسار العالم المعاصر الذي اتحد مع في نظرته للجمال مع حال الامم قبل الاسلام .

لقد اشرقت شمس الاسلام فأنارت معها تصحيح المهام ،والنظرة الى هذه الحالات من الخطأ والصواب ، فعدلت معوجها ؛ وشذبت فائضها ؛ وصححت مسارها ، فقد أكد كلام الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ان الجمال عُنصر فاعل في الحياة الدينية و الاجتماعية والاقتصادية ، وقدم امثلة ونماذج عن هذا ، إذ ذكر عن خلق الانسان قوله عز وجل : (**لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**) ، ومن احسن من الله خلقة ، وانسابت الجمالية الى غير هذه الموضع فدخلت في كل خُلق حسن تريده النفس كالنظر الى متاع الدنيا كقوله عز وجل عن الانعام : **(وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ)** الى ما تستبعده النفس وتكرهه كالصبر الذي قال فيه عز وجل : **(فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا)** وقول يعقوب عليه السلام لابنائه آسفاً : **(بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ)** .

اذن فالجمال في الفقه الحضاري داخل في عموم مفاصل الحياة ، لانه لصيق بالحُسن والابداع ، وداخل في التعامل في الرضا والخصام ، ومتعدي ذلك كله في الصناعات والحرف ، واعمق من هذا بتناغم الروح مع الجسد وبالمضمون أضافة الى الشكل .

لقد ارسى النبي مضامين الجمال في المجتمع الاسلامي من خلال اهتمام بالمضهر الخارجي من ملبس وهيئة ، فضلاً جمال روحه في التعامل مع العدو قبل الصديق ، ووصياه للمسلمين بالابتعاد عن قبيح الاقوال والافعال فليس المؤمن بطعان ولا لعان ولا فاحش ولا بذئ ، ولا حسود لا حقود ولا

جشع ، كما ان الاهتمام بجمال المظهر من وصاياه حين قال لاصحابه : أصلحوا رحالكوا وحسنوا لباسكم حتى تكونوا شامة بين الناس .

ان من مقتضيات الجمال (الزينة والتزين) التي تضاف الى الشي لتجمله او تعطيه منظرا ازهى من مظهره الذي هو عليه ، حيث تمازجت مع جوانب الحياة كافة ، ولم تقتصر على جانب دون اخر ، ففي جانب العبادة امر الله ان يأخذ المسلم زينته الى كل مسجد فقال : (**يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**) ، بما في ذلك الملبس الجميل والظهور الحسن والاهتمام بالنظافة والتعطر وما الى ذلك من ضروب الجمال ، ولكنه في الوقت نفسه أكد ان الزينة التي هي في الاصل مكملة للجمال مضافة اليه تعتبر امراً زائلاً موقتا وليس اصلا ثابتا كالجمال بطبيعته ، أذ قال تعالى لنبيه موجهاً : (**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**) ، وهو في هذا يضع حدا فاصلا بين الجمال الطبيعي والزينة المصطنعة .

ان الامور لا تعرف على حقيقتها حتى تقارن بغيرها ، ولو أجرينا مقارنة بسيطة بين مضمون الجمال في الفقه الحضاري الاسلامي الذي يمزج جمال الروح بالجسد وينقب عن الجمال الداخلي فضل عن الجمال الخارجي ، ويعطي تحذيرات على ان الجمال الخارجي ان لم يساكنه خُلق داخلي يجمله ويشد من ازره هو جمال مرفوض ومستنقع سحيق لا يرجى النجاة لمن يسقط به ،ولعل هذا ما عبر رسول الله قائلاً لا صحابه مفصحاً بالقول : اياكم وخضراء الدمن قالوا يالرسول وما خضراء الدمن قال المرأة الحسناء في المنبت السوء .

ان التركيز على الصورة الظاهرة في الغرب واعتماد الاوصاف البادية للعيان كاساس للجمال او الظاهرة الجمالية لم تأتي من فراغ ، فهي تسير في رِكاب نظرة الغرب الى الحياة ؛ تلك النظرة المادية التي ابعدت من حولها كل أمر معنوي واخلاقي متأصل فيها لتكون فكرة مادية بحتة تتلائم مع الواقع الغربي اليوم ، وهو ما دفع الكثير من افراد المجتمع الغربي يلجئون الى الشرق والمناطق النائية من الصحارى والغابات للاحساس بقيمة الجمال المكتمل والذي افتقدوه في بلدانهم .